ثم شاء الله جل وعلا أن يعذبهم بمعاصيهم في القبر أو عرصات يوم القيامة في يوم مقداره خمسين ألف سنة من أيام الدنيا ، أو في النار بعد ذلك .

[٣٤] الذنب والوعيد متحققان ، والتوبة والمغفرة مظنونتان :

لقد وجدت أن وقوع الذنب من العبد متحقق سواء علم به العبد أو لم يعلم به ، أو عدَّه ذنباً ، أو لم يعده ذنباً ، وسواء تذكره أو نسيه ، فكل ذنب وقع في الأرض فهو مكتوب مسطور ما لم يمحه الله بالتوبة .

ووجدت أن العقوبة التي رتبها الله على الذنب فهى كذلك متحققة ، ما لم يغفر الله لفاعل الذنب .

ولما كانت الذنوب التي فعلتها أمراً مقطوعاً به ، فقد كتب وسجل لا محالة في ذلك ، والوعيد على الذنب مقطوع به فإن الله سبحانه وتعالى لا يقول إلا حقاً ، ولا يتوعد إلا صدقاً إلا أن يتوب العبد توبة نصوحاً ، فيغفر الله

له ، ولكن قبول التوبة يظل مظنوناً .

فما يدريني – ويدري غيري – أن الله قد قبل عذري ، وأقال عثرتي وغفر ذنبي !! .

إنني أحسن الظن بالله – إن شاء الله – ولكني أسيء الظن في نفسي ، فهل استكملت أركان التوبة ؟ فأقلعت عن الذنب إقلاع من لا ينوي مراجعته قط !! وهل ندمت على فعل كل ذنب أذنبته – ندم من يقطع بالعقوبة عليه إن لم يغفر الله ؟ وهل عزمت على عدم العودة ما حييت !! وهل رددت حقوق الآدميين لهم ؟ وتحللت منهم مما لا أستطيع رده ؟ كيف وعندي ما لا يعلمه إلا الله من الذنوب التي هي حق خالص لله ، وجبال أخرى من الذنوب التي تتعلق بحقوق الآدميين !!؟ .

وأقول : اللهم أنت ربي وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ، أعوذ بك من شر ما صنعت ، وأبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر

الذنوب إلا أنت .

[٣٥] طريق أهل الإيمان إلى الجنة طريق طويل فليستعدوا له :

نظرت في طريق المؤمن إلى الجنة فرأيت أن العصاة من أمثالي أمامهم درب طويل ، وطريق محفوف بالمخاطر ، ومفاوز عظيمة ، وعقبات وعقبات ، وأن هناك من عصاة المؤمنين من يُقْتَطَعُ دون الجنة ، فيمكث في النار ما شاء الله أن يمكث ، وأنه لا يدخل الجنة بعد ذلك إلا محترقاً ، ثم ينبت له لحم جديد !! .

وأما طريق الكفار إلى النار ، فهو قصير جداً ... القبر أوله منازله ، قال تعالى عن قوم نوح ﴿ **مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَاراً** ﴾ [نوح ٢٥] . بفاء التعقيب .

وقال تعالى في قوم فرعون : ﴿ **النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦)** ﴾ [غافر ٤٦] ، ثم البعث فالحشر فالنار.

وأما أهل الإيمان فإن طريقهم إلى الجنة طويل ، ولا يدخلونها إلا بعد أن يدخل أهل النار النار ، ولنبدأ رحلة الإيمان من أولها :

[٣٦] الموت آت لا محالة :

من هذه اللحظة إلى الموت قدر من العمر قد يكون لحظة ، وقد يستمر سنوات !! وأعمار أمة محمد عامتهم بين الستين والسبعين ، ولا يجاوزه ذا العمر إلا القليل النادر.

إنني اليوم – كاتب هذه السطور – قد جاوزت الستين « القمرية » وإذن فقد بلغت تمام العمر ، وأنا اليوم في الوقت الإضافي .

ومنذ اللحظة إلى لحظة الوادع لا يدري أحد ما تكون الخاتمة ، قال ﷺ : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع ، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل**

بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » .

وقال أيضاً ﷺ : « **إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة** »
[متفق عليه] .

اللهم إني أسألك بأسمائك الحسنى وصفاتك العلى أن تثبتني على الإيمان حتى ألقاك ، وأن تجعل خير أيامي آخرها ، وأحسن عملي خواتيمه ، اللهم اختم لي ولإخواني المؤمنين بخاتمة أهل السعادة ، ولا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا يا رب العالمين .

وسيظل المؤمن خائفاً من تقلب قلبه ، وهل سمي القلب قلباً إلا لتقلبه ؟ ولقد كان رسول الله ﷺ الجبل الراسخ في الإيمان ، خير عباد الله على الإطلاق . يقول : « يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » وعن عبد الله

ابن مسعود رضي الله عنه قال : كان أكثر ما كان يحلف : « لا ومقلب القلوب » [رواه البخاري] .

فما يدريني أنا أو غيري كيف تكون لحظة النهاية !! هذا ونحن نعيش العصر الذي قال فيه الرسول ﷺ :

«بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يمسي المرء مؤمناً ويصبح كافراً ، ويصبح مؤمناً ويمسي كافراً ، يبيع أحدهم دينه بعرض من الدنيا قليل » .

[رواه أحمد ومسلم والترمذي] .

﴿ **رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ (٨)** ﴾ [آل عمران ٨] .

[٣٧] هل يعاني المؤمن سكرات الموت :

الموت لحظة رهيبة ، والكل يخافه ويكرهه ، المؤمن والكافر ... ولا بد لكل أحد منه ، ولا فرار عنه ، ونزع الروح نزع ، وآلام ، وكل إنسان يذوقه مؤمناً أو كافراً ... قال تعالى : ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ** ﴾ [آل عمران

١٨٥] . وقال تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر ٣٠] .

والمؤمن لا يناله من ألم الموت إلا القليل ، وأما الكافر فإن نزع الروح هو أول العذاب له .

يروي البخاري في صحيحه : « أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول : « إن من نعم الله عليّ أن رسول الله ﷺ توفى في بيتي ، وفي يومي ، وبين سحري ونحري ، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته ، دخل علي عبد الرحمن – أخوها – وبيده السواك ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر إليه ، عرفت أنه يحب السواك فقلت : آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فتناولته فاشتد عليه ، وقلت ألينه لك ، فأشار برأسه أن نعم ، فلينته وبين يده ركوة أو علبة – يشك عمر – فيها ماء ، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول : لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات !! ثم نصب يده فجعل يقول : في الرفيق الأعلى

حتى قبض ومالت يده ﷺ » [رواه البخاري] .

[٣٨] لحظة الموت لحظة الإخبار بالنتيجة النهائية:

ولحظة الموت لكل عبد من عباد الله هي مرحلة الإخبار بالنتيجة النهائية .. فالمؤمن يبشر بالجنة والكافر يبشر بالنار ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ** - أي عند الموت - **أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ (٣٢)** ﴾ .

[فصلت ٣٠ - ٣٢] .

وأما الكافر فإنه يتلقى الصفعات عند الموت ، قال تعالى : ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧)** ﴾ [محمد ٢٧] .

ويبشر بالنار ويُقرَّع عند الموت ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ**

مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨) فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩) ﴾ [النحل ٢٨ – ٢٩] .

[٣٩] اللحظات الأخيرة فى حياة المؤمن والكافر :

وقد بيَّن النبي ﷺ هذه اللحظات الأخيرة في حياة المؤمن والكافر ، فقال ﷺ : « إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس ، معهم كفن من أكفان الجنة ، وحنوط من حنوط الجنة ، حتى يجلسوا منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت ، حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ، أخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، فتخرج فتسيل كما تسيل القطر من في السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن ، وفي ذلك الحنوط ، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على

وجه الأرض ، فيصعدون بها ، فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروح الطيب ؟ فيقولون : فلان بن فلان - بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا - حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا ، فيستفتحون لها ، فيفتح له ، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها ، حتى ينتهي إلى السماء السابعة .

فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتاب عبدي في عليين ، وأعيدوا عبدي إلى الأرض ، فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ، ومنها أخرجهم تارة أخرى .

فتعاد روحه فيأتيه ملكان ، فيجلسانه ، فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ديني الإسلام ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هو رسول الله ، فيقولان له : وما علمك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت .

فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي !! فأفرشوه

من الجنة ، وألبسوه من الجنة ، وافتحوا له باباً من الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ،و يفسح له في قبره مد البصر ، ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب ، طيب الريح ، فيقول : أبشر بالذي يسرك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول له : من أنت ؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير ، فيقول : أنا عملك الصالح ، فيقول : رب أقم الساعة !! ، رب أقم الساعة !! حتى أرجع إلى أهلي ومالي .

وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا ، وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه ، معهم المَسُوح ، فيجلسون منه مد البصر ، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه ، يقول : أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب ، فتتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود من الصوف المبلول ، فيأخذها ، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك

المسوح ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض .

فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث ؟ فيقولون : فلان بن فلان – بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا – فيستفتح له ، فلا يفتح له ، ثم قرأ : ﴿ **لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ** ﴾ [الأعراف ٤٠] . فيقول الله عز وجل : اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السلفى !! فتطرح روحه طرحاً ، فتعاد روحه في جسده ، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول : هاها ، لا أدري ، فيقولان له : ما دينك ؟ فيقول : ها ها لا أدري ، فيقولان له : ما هذا الرجل الذي بعث فيكم ؟ فيقول : هاه هاه لا أدري ، فينادي مناد من السماء : أن كذب عبدي ، فأفرشوه من النار ، وافتحوا له باباً إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ، ويضيق عليه قبره ، حتى تختلف أضلاعه ، ويأتيه قبيح

الوجه قبيح الثياب ، منتن الريح فيقول : أبشر بالذي يسوؤك ، هذا يومك الذي كنت توعد ، فيقول: من أنت فوجهك يجيء بالشر؟ فيقول : أنا عملك الخبيث، فيقول: رب لا تقم الساعة » . [أخرجه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم وصححه شيخنا الألباني] .

[٤٠] من عصاة المؤمنين من يعذب فى قبره على صغير من الإثم وكبير :

وعصاة المؤمنين قد يعذب بعضهم في قبره في صغير من الذنوب وكبير : فمنهم من يعذب بالنميمة ، ومنهم من يعذب لأنه لم يكن يتنزه من بوله ، ومنهم من يعذب في دين كان عليه لم يؤده ، ففي مسند أحمد رحمه الله عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : توفي رجل فغسلناه وحنطناه ، وكفناه ثم أتينا به رسول الله ﷺ يصلي عليه ، فقلنا تصلي عليه فخطا خطى ثم قال : « أعليه دين ؟ » قلنا : ديناران ، فانصرف !! فتحملهما أبو قتادة فأتيناه ،

فقال أبو قتادة : الديناران علَيَّ ، فقال رسول الله ﷺ : « أحقَّ الغريم وبرئ منهما الميت» ؟!! ، قال: نعم ، فصلى عليه ثم قال بعد ذلك بيوم : « ما فعل الديناران ؟!! » فقال : أبو قتادة : إنما مات أمس!! ، فعاد إليه من الغد فقال: قد قضيتهما فقال رسول الله ﷺ : « الآن بردت عليه جلده !! » .

وقوله ﷺ : « الآن بردت عليه جلده » يدل على أنه كان يعذب في القبر إلى أن أدى ما عليه من الدين » .

ومنهم من مات شهيداً مع النبي ﷺ ولما كان قد غَلَّ بردة لا تساوي أربعة دراهم فقد دخل العذاب بعد الموت مباشرة .

ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع ، فأهدى رجل من بني الضبيب ، يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله ﷺ غلاماً

يقال له مدعم ، بينما مدعم يحط رحلاً لرسول الله ﷺ إذا سهمٌ عائرٌ فقتله ، فقال الناس : هنيئاً له الجنة ، فقال رسول الله ﷺ : « كلا والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً !! ، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي ﷺ فقال ﷺ : « شراك من نار أو شراكان من نار » !! .

وقد روى هذا الحديث مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : خرجنا مع النبي ﷺ إلى خيبر ، ففتح الله علينا ، فلم نغنم ذهباً ولا وَرِقاً ، غنمنا المتاع والطعام والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي ، ومع رسول الله ﷺ عبد له ، وهبه له رجل من جذام ، يدعى رفاعة بن زيد من بني الضبيب ، فلما نزلنا الوادي قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله فرمى بسهم ، فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له الشهادة يا رسول الله !! فقال رسول الله ﷺ : « **كلا والذي نفس محمد**

بيده ! إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم » قال : ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين فقال : يا رسول الله أصبت يوم خيبر ، فقال رسول الله ﷺ : « **شراك من نار أو شراكان من نار** » !! .

فانظر – أخي المسلم – فإن أخذ شراك من الغنائم لا شك أنه من صغار الذنوب لأن الشراك لا يساوي شيئاً ، ولا يشاح فيه ، ومن فقده لا يسأل عنه ، ومع ذلك لما كان غلولاً لم يتسامح فيه !! وهذا من أبين الأدلة على أن المؤمن قد يعذب في قبره في صغائر من الذنوب .

[٤١] القبر بغير عذاب :

والقبر وإن كان بغير عذاب فهو منزل رهيب ، إنه الوحدة والوحشة والظلمة والضيق ، قال رسول الله ﷺ : « **إن هذه القبور ممتلئة على أهلها ظلمة ، وإن الله يُنَوّرها لهم بصلاتي عليهم** !! » [رواه مسلم] .

اللهم صلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ... اللهم أعذني وأخواني المؤمنين من عذاب القبر ، اللهم نور علينا قبورنا ، ولا تردنا على أعقابنا بعد إذ هديتنا للإسلام .

وليس من مؤمن إلا وهو يستقبل من القبر بضمة وضغطة ، قال ﷺ في سعد بن معاذ : « هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألف من الملائكة لقد ضُمَّ ضمةَ ثم فرج عنه » [رواه النسائي وصححه الألباني] .

فإذا كان هذا حال سعد بن معاذ سيد الأوس السابق بالإيمان ، والذي لا تحصى مناقبه ، والذي اهتز لموته عرش الرحمن ... فما بالك بسواه ؟!! والمؤمن والكافر والمنافق كل رهين عمله في القبر ، وحياة البرزج حياة بكل الأحاسيس والمشاعر التي كانت في الحياة الدنيا ففي القبر الفرح والسرور والبشري ،وفيه الحزن والغم والهموم والآلام.

[٤٢] الموقف والحشر : اليوم الثقيل الطويل العبوس القمطرير !! :

وما بعد القبر أعظم منه إنه البعث والنشور إنه اليوم الثقيل الطويل العبوس القمطرير !! إنه يوم واحد ولكنه خمسون ألف سنة من أيام الدنيا طولاً ... يومٌ لا تغرب شمسه إلا بعد مضى خمسين ألف سنة ، يوم يقوم الناس لرب العالمين في رشحهم وعرقهم إلى أنصاف آذانهم ، فمنهم من يأخذه عرقه إلى كعبيه ، ومنهم من يأخذه عرقه إلى ركبتيه ، ومنهم من يغط في عرقه غطيطاً .

وقد حذر الله جميع عباده منه فقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ (٢)** ﴾ [الحج ١ - ٢] .

وأمر رسوله ﷺ أن يقوم بالليل استعداداً وحذراً

لهذا اليوم .

قال تعالى : ﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلاً طَوِيلاً (٢٦) إِنَّ هَؤُلاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلاً (٢٧) ﴾ [الإنسان ٢٦ – ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ﴾ [المزمل ١٧ –١٨] .

وقال تعالى : ﴿ سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ (١) لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ (٢) مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ (٣) تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤) فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً (٥) ﴾ [المعارج ١ – ٤] .

وقال تعالى بعد ذكره لمصارع الغابرين: ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ (١٠٣) ﴾ [هود ١٠٣] .

وقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ ﴿٩﴾ ﴾ .

[الزمر ٩] .

وقد وصف النبي ﷺ من أحوال هذا اليوم وطوله ، وتهاويله وآلامه ، ومشاهده ما يخلع القلب ، ويدمع العين ، ويحمل على التفكير فيه وحده والانصراف عن كل شيء دونه !! .

فمن ذلك قوله ﷺ : « **تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل ، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حِقْوَيه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً** » قال : وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه . [رواه مسلم] .

ففي هذا اليوم العصيب يرى كل حميم حميمه فيفر منه ، ويشتغل بنفسه عنه ، قال تعالى : ﴿ وَلا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ ﴾ [المعارج ١٠] . وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ

يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) ﴾ .

[عبس ٣٤ – ٣٧] .

في هذا اليوم يكون الكافر في عذاب هائل من الخوف والقلق ، واليأس من رحمة الله ، وانتظار العذاب المحقق في النار ، ويصبح وجهه كالليل سواداً وظلمه مما هو فيه من الكرب العظيم ، قال تعالى : ﴿ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا ﴾ [يونس ٢٧] .

وقال تعالى : ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا (١٠٢) يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ عَشْرًا (١٠٣) نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلاَّ يَوْمًا (١٠٤) ﴾ [طه ١٠٢ – ١٠٤] .

وأما أهل الإيمان فهم في أرض المحشر درجات في حصول الشدة والكرب ، والهم والغم وكل واحد منهم فيما هو فيه حسب إيمانه وعمله الصالح ، وحسب ما ارتكب

كل من السيئات .

[٤٣] مانع الزكاة يعذب خمسين ألف سنة :

ومن أهل الإيمان ممن له معاصى لم يشأ الله أن يغفرها له يعذب في أرض المحشر على هذه المعاصي « خمسين ألف سنة » حتى يقضي بين الخلائق ، عياذاً بالله من سخطه وعقابه - فمن ذلك :

مانع الزكاة : ففي الحديث الصحيح أن النبي ﷺ قال : « **ما من صاحب كنز لا يؤدي حقه إلا جعل صفائح يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جبهته وجنبه وظهره حتى يحكم الله عز وجل بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما تعدون** » .

[رواه الإمام أحمد] .

وفي صحيح الإمام مسلم قال ﷺ : « **ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمى عليها في نار**

جهنم ، فيكوى بها جنبه ، وجبينه ، وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ، حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله وإما إلى الجنة وإما إلى النار» [رواه مسلم] .

قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : « ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة ، بطح لها بقاع قرقر ، لا يفقد منها شيئاً ، ليس فيها عقصاء ، ولا جلجاء ، ولا عضباء تنطحه بقرونها ، وتطؤه بأظلافها ، كلما مر عليه أولاها رد عليه أخراها ، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي الله بين العباد فيرى سبيله وإما إلى الجنة وإما إلى النار » ... .

وقيل : يا رسول الله فالخيل ؟ قال : « الخيل ثلاثة : هي لرجل وزر ، وهي لرجل ستر ، وهي لرجل أجر ، فأما التي هي له وزر : فرجل ربطها رياء وفخراً ونواء على أهل الإسلام ، فهي له وزر ، وأما التي هي له ستر ، فرجل

ربطها في سبيل الله ثم لم ينس حق الله في ظهورها ، ولا رقابها ، فهي له ستر ، وأما التي هي له أجر ، فرجل ربطها في سبيل الله لأهل الإسلام في مرج أو روضة ، فما أكلت من ذلك المرج أو الروضة من شئ إلا كتب له عدد ما أكلت حسنات ، وكتب له عدد أرواثها وأبوالها حسنات ، ولا تقطع طولها فاستَنَتْ شرفاً أو شرفين إلا كتب الله له عدد آثارها ، وأرواثها حسنات ، ولا مر بها صاحبها على نهر ، فشربت منه ، ولا يريد أن يسقيها إلا كتب الله له عدد ما شربت حسنات » .

قيل : يا رسول الله فالحمر ؟ قال : « ما أنزل علي في الحمر شيء إلا هذه الآية الفاذة الجامعة ﴿ **فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾** ﴾ [الزلزلة ٧ – ٨] .

وتصديق هذا الحديث في كتاب الله تعالى قوله جل وعلا : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ**

لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٤) يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ (٣٥) ﴾ [التوبة ٣٤ – ٣٥] .

[٤٤] مؤمنون فى ظل الله يوم القيامة :

ومن أهل الإيمان من يكونون في ظل الله قد خصهم الله بهذه الكرامة لاختصاصهم بأعمال عظيمة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) ﴾ [الإنسان ٥ – ١١] .

وقال ﷺ : « سبعة يظلهم الله في ظله ، يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله عز وجل ، ورجل قلبه معلق بالمساجد ، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه ، وتفرقا عليه ، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال ، فقال : إني أخاف الله ، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه ، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه » [متفق عليه] .

[٤٥] الصـــراط هو الكرب الأعظم لأهل الإيمان !! السابقون يجوزون ، والعصاة يسقطون :

والمرحلة قبل الأخيرة من هذا اليوم « يوم القيامة » هي أعسر مراحله ، وأصعب أوقاته ، إنه العبور فوق جهنم من أرض المحشر إلى قنطرة أخرى قبل الجنة ... إنه عبور فوق النار كلها . وما أعرض هذه النار ؟!! وما أعظم اتساعها ولو قربنا المعنى لقلنا : إنه عبور فوق الشمس !! بل الشمس كوكب صغير في النار !! .

فهل فكرت يا عبد الله في أنه يتوجب عليك أن تعبر فوق ما يشبه الشمس حراً وناراً ، واتساعاً ، بل الشمس الذي ينفجر بركانها ، وتصل حرارة سطحها إلى مليوني درجة جزء صغير من نار الآخرة .

فإذا تصورنا النار كما صورها الله لنا في القرآن ، وكما أخبرنا عنها رسول الله ﷺ في أحاديثه الكثيرة ، وعلمنا أنها بئر عميقة قد بعد قرارها بعداً لا تستوعبه عقولنا إلا أن نقيس ذلك بالبعد بين الكواكب في هذا الكون الفسيح ، وأنها في التهاب الشمس بل أعظم ، وإنها واسعة بحيث تكون الشمس هذه ذاتها ، والقمر هذا ذاته الذي نراه حجرين صغيرين في صحراء واسعة ، قال ﷺ : « **الشمس والقمر مكوران في النار يوم القيامة** » [رواه البخاري] .

وإذا كان أهل الإيمان يكربون في الموقف العظيم والمشهد الهائل والقيام لرب العالمين ، وكرب كل واحد منهم على قدر ذنوبه ومعاصيه ، ومن أهل الإيمان من يفتن

في قبره ، ويعذب حتى ينفخ الصور ، ومنهم من يعذب بالنار في محشره في هذا اليوم الطويل العصيب حتى يقضي الله بين الخلائق ... فإن ثمة ما هو أعظم لهم جميعاً وأكبر فتنة وهولاً ، وهو المرور على الصراط والجواز منه إلى الجنة ... فإما عبور وسلامة ، وإما معاناة طويلة طويلة !! وإما هاوية في نار جهنم إلى غاية لا يعلمها إلا الله وحده حتى تدركهم الشفاعة ورحمة الله في نهاية المطاف .

قال ﷺ : « **ويضرب الصراط بين ظهري جهنم ، فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل ، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلم سلم** » !! .

وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان ، هل رأيتم السعدان ؟ قالوا : نعم يا رسول الله ، قال : فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله تخطف الناس بأعمالهم ، فمنهم المؤمن بقى بعمله ، ومنهم المجازي حتى يُنَجَّى » . [رواه مسلم] .

وقال ﷺ : « ثم يضرب بالجسر على جهنم وتحل الشفاعة ، ويقولون اللهم سلم سلم قيل : يا رسول الله ! وما الجسر ؟ قال : « دحْضٌ مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسك ، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها : السعدان ، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مسلم ، ومخدوش مرسل ، ومكدوس في نار جهنم .

حتى إذا خلص المؤمنون من النار ، فوالذي نفسي بيده! ما منكم من أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار ، يقولون : ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون !! فيقال لهم : أخرجوا من عرفتم !! فتُحرَم صورهم على النار ، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه ، وإلى ركبتيه ثم يقولون : ربنا مابقي فيها أحد ممن أمرتنا به ، فيقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير

فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا ، ثم يقول : ارجعوا ، فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه ، فيخرجون خلقاً كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها خيراً » .

وكان أبو سعيد الخدري يقول : إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً** (٤٠) ﴾ [النساء ٤٠] .

فيقول الله عز وجل: « شفعت الملائكة وشفع النبيون ، وشفع المؤمنون ، ولم يبق إلا أرحم الراحمين ، فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً ، فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة ، فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ، ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر ، وما يكون منها إلى الظل يكون

أبيض ؟ فقالوا : يا رسول الله : كأنك كنت ترعى بالبادية !! ، قال : « فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم ، يعرفهم أهل الجنة ، هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه .

ثم يقول : « ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم ، فيقولون : ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ، فيقول : لكم عندي أفضل من هذا ، فيقولون : يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول : رضاي ، فلا أسخط عليكم بعده أبداً » [رواه مسلم] .

ويبقى من حبسه القرآن ، فمن هم ؟ .

[٤٦] من الذين حبسهم القرآن ؟ :

الذين حبسهم القرآن كثيرون ؟ وهم الذين أخبر الله عنهم أنهم مخلدون في النار أولهم : الكفار المشركون قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾ [النساء ١١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) ﴾ [الحجر ٤٨] ، وقال تعالى عنهم: ﴿ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ (٧٧) ﴾ [الزخرف ٧٧] ، والآيات في خلود الكفار في النار خلوداً لا انقطاع فيه كثيرة جداً .

وقال ﷺ : « **اعلموا أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة** » [رواه مسلم] .

ومن الذين حبسهم القرآن وقضى بخلدوهم ؟ : قاتل النفس ظلماً الذي لم يتب من ذلك قال جل وعلا : ﴿ **وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا (٩٣)** ﴾ [النساء ٩٣] .

وآكل الربا الذي مات غير تائب منه ، قال تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَن جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَانتَهَىٰ**

فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٧٥) ﴾ [البقرة ٢٧٥] .

وهؤلاء لا يحكم فيهم إلا رب العالمين ، ولا يخرجون من النار إلا بإذن أحكم الحاكمين ، وكم يستمر خلودهم في النار حتى تتداركهم الرحمة هذا علمه إلى الله سبحانه وتعالى وحده، ولا شك أن خلود هولاء العصاة ليس كخلود الكفار ، ولكنه بقاء طويل لأن هذا هو معنى الخلود .

[٤٧] هل قدر المؤمنون السقوط عن الصراط :

فانظر يا عبد الله يا من تقرأ أو تسمع هذا الكلام ، واقدر هذا اليوم حق قدره ، فإنه مكتوب على كل عبد من عباد الله أن لا يدخل الجنة إلا أن يجاوز النار عبوراً فوق الصراط ، قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (٧٢) ﴾ [مريم ٧١ – ٧٢] .

والصراط ما قد علمت جسر طويل طويل فوق